

لقاء قناة آفاق بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/12/31
(خارج المؤلف) (ج1)

المقدم: بماذا تحب أن أناديك، أبا أحمد أم رئيس الوزراء.

الجعفري: أبو أحمد.

المقدم: نريد أن نعرف ولادتك، وبدائتك، والأرض التي وُلدت عليها، ومتى إذا كنت تتذكر، في أي ساعة، ويوم، وشهر، وسنة؟

الجعفري: الولادة ليست من مقولة التذكر، فلا أتذكر، لكنني أنقل لك ما نقلوه لي، أنا من مواليد 1947 من مدينة كربلاء المقدسة، في منطقة اسمها باب السلالة، وولدت ليلة المولد النبوي الشريف، ولعل الاسم الذي أرادوا اختياره لي هو محمد باعتبار ليلة المولد النبوي الشريف، لكن أحد إخوتي الكبار كان اسمه محمد، فقال: إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً أخي الثاني اسمه رسول، بعد ذلك قالوا (علي) وأحد إخوتي كان اسمه (علي)، وكذلك (حسن) وهكذا كل الأسماء كانت لإخوتي، فسُميت إبراهيم باسم أبي الأنبياء، وربما يكون في الشهر الثاني الميلادي

المقدم: قلت لنا: إن لك إخوة أكبر منك؟

الجعفري: بالنسبة لإخوتي لم يكونوا من أم واحدة وأب واحد، لكن بالأساس كنا اثني عشر ولداً وبنتين اثنتين، وأنا كنت أصغرهم.

المقدم: هل هم في كربلاء، وهل تراهم؟

الجعفري: إخوتي بقوا في كربلاء.

المقدم: هل تزورهم؟

الجعفري: طبعاً عندما أذهب إلى كربلاء، والآن الظروف أملت عليّ أن يكون ذهابي قليلاً، لكن عادة هم يأتون.

المقدم: يقولون: إن عشقك لوالدتك عجيب جداً وغريب ونادر، فماذا تمثل والدتك بالنسبة إليك؟

الجعفري: الظروف الاستثنائية التي مرت وطّدت العلاقة بيني وبين والدة، وكان لوفاة الوالد بوقت مبكر في عام 1951، وقد تفرغت الوالدة للجانب التربوي، ومنذ ذلك الوقت توطدت العلاقة بشكل قوي، وفي الوقت نفسه عبرت من كونها والدة إلى كونها أمّاً وأكثر من ذلك، وكانت صاحبة شخصية قوية، وأخترن لها ذكريات جميلة، فهي التي استطاعت أن تدفع بي إلى المسرح في وقت مبكر، هذه قضية لا يمكن أن أنساها.

المقدم: أنت نشأت بمدينة كربلاء المقدسة، وهي مدينة عريقة، هل تتذكر أيام دراستك الابتدائية أو أول يوم سجلت في الابتدائية؟

الجعفري: أتذكر مدرسة السبط الابتدائية في مدينة السلالة، وشعبياً يسمونها (أم العكاريك) لأنها كانت في بستان، وفيه ضفادع كثيرة، فانسحب الاسم على المدرسة وهي الآن تسمى مدرسة السبط الابتدائية، وموجودة حالياً.

المقدم: ألم تزرها؟

الجعفري: لا لم أزرها، لكنني أتطلع إلى زيارتها.

المقدم: إذا كنا نستطيع أن نذهب إلى هذا المكان، أو إلى مكان ولادتك في كربلاء المقدسة؟

الجعفري: لم لا، مكان ولادتي ذهبت لرؤيته.

المقدم: في أيام دراستك الابتدائية سمعنا أنك في إحدى المرات كنت مريضاً، وكان عندك امتحان.. نريد أن نعرف هذه القصة؟

الجعفري: كان الامتحان باللغة الإنكليزية، وأستاذي هو أستاذ هادي فرهود - حفظه الله - فصادف في يوم الامتحان أن أكون غائباً، فتفقدني، وقالوا له: إنه مريض، فأرسل لي الأسئلة إلى البيت، وهذه ثقة وثقة كبيرة، لكنني لم أحب إحراج الأستاذ، فشكرته كثيراً، وأرجعت الأسئلة كما هي، وهذه تركت أثراً تربوياً لطيفاً، وحين كنت في لندن وحتى الأسبوع الأخير الذي جئت فيه إلى العراق، كنت أدرّس

طالبات في لندن وواحدة منهن حدث لزوجها أمر، فلم تستطع الحضور، فعملت بالطريقة نفسها..
أعتقد أن المعلم ينبغي أن لا ينسى أنه يرَبِّي، والطالب ما لم يتلقَ من أستاذه المربي، والثقة أحد مقومات التربية.

المقدم: متى التقيت زملاءك في الصف؟

الجعفري: حدثت قضية في الصف الثالث المتوسط، وكنت مراقباً، فدرس الدين لم يكن يُدرّس، فسألت المدير قلت له أستاذ: لماذا لا يوجد مدرس دين، قال: لا يوجد مدرس دين، قلت له هل سنبقى بدون مدرس، فقال لي: اذهب أنت، وتكلم، فقلت له: موافق، فتحدث في الصف، وعلاقتي كانت جيدة مع الطلبة، فحدثت هذه القضية في المتوسطة مرة، ومرة من المرات أتى مفتش فأحب الأستاذ أن يُظهر هذه الحالة.

المقدم: عندما تقرأ.. هل تطلب من أحد أن لا يدخل عليك، أو لا يعكّر عليك القراءة؟

الجعفري: لا، بالعكس عندما يأتيني تلفون، أو يدخل عليّ شخص، أغلق الكتاب، وأضع علامة عليه، فالكتاب لا يمكن أن يعبث بعلاقتي مع الآخرين؛ لأنه ينبوع فكر ومعرفة، ولا أريده أن يكون مشكلة مع الآخرين، فالقراءة ممكن أن أوّجلها، وأتي بعد فترة، وأفتحها مرة ثانية، لكنني لم أتخلّ عن الكتاب عندما وصلت إلى مختلف مواقع المسؤولية.

المقدم: هل تقرأ بالكمبيوتر؟

الجعفري: أقرأ، لكن ليس كثيراً.

المقدم: هل تستعمل الكمبيوتر؟

الجعفري: نادراً ما أدخل على الكمبيوتر، والأكثر أن يأتوا لي بمقالات مطبوعة.

المقدم: هل تستعمل الإنترنت؟

الجعفري: قليل جداً أستخدم الإنترنت، الإنترنت لغة العصر، ويجب أن نحسن أداء هذه اللغة، ومن لم يحسن أداء الكمبيوتر والإنترنت، فهو أمّي نسبياً.

المقدم: ما هي علاقتك بالشعر؟

الجعفري: أحب الشعر، وأقرأه.

المقدم: هل تكتبه، وإن كتبتَه فلمن، ومتى؟

الجعفري: لا أتذكر بالضبط متى بدأت، فالشعر لا يأتيك بقرار، قد ترى نفسك أمام شيء يدفعك لأن تقرأ شعراً، وإنما سُمي الشعر شعراً لأنه يعبر عن مشاعر الإنسان، فعندما تجيش مشاعرك تكتب، وأذكر مرة حين رزقني الله بابني (ليث) عام 1979 كتبت له قصيدة، وكتبت أبياتاً متناثرة في الستينيات.

المقدم: كيف كان وضعكم المادي؟

الجعفري: كان جيداً - الحمد لله - فظروف العائلة والمرحوم والدي كان رجلاً ثرياً، وخلف لنا إرثاً.

المقدم: كيف أشكلت على إله الشعر الجواهري، في قصيدة الإمام الحسين (عليه السلام)؟

الجعفري: قرأت بعض الأبيات من شعره، فقلت له: هل تريد أن تسمع بعضاً من شعرك، فقرأت له القصيدة، آمنت بالحسين، ثم تذكرت وأنا في السيارة، قد قرأت القصيدة وحدي، ونسيت بيتاً من شعر الجواهري، وأتذكر البيت الذي كتبتَه مكانه، فقلت سأسأله، قلت: أبا فرات، شخص ما، لم أقل له أنا، قرأ شعرك، ونسي بعض الأبيات، فارتجل بيتاً عنك، فقال لي هل تحفظه؟ ماأروع أن يكون لحملك وقفاً على المبضع، فقلت له: قال مكانه:

أأروع من أن يموت الرجال بحد السيوف والمبضع

فقلت له أتقبله؟ قال: طبعاً أقبله.

المقدم: قبل أن نخرج من هذه المكتبة، ونخرج من هذه الموضوعات، هل تحب أن ترى صورتك؟

الجعفري: لا، لا.

المقدم: هل تحب متابعة لقاءاتك التلفزيونية المسجلة؟

الجعفري: أنظر إليها نظرة نقدية، وربما تكون قاسية، وكثيراً ما أسجلها، وأكررها، وطبعاً أتجنب الأخطاء قدر الإمكان، وعندما يصادفني خطأ أقوم بمشاهدة المقطع الذي أخطئ به مرات عدة إلى درجة أن أكرهه، وإذا كرهته لا أكرره.

المقدم: هل حاسبت أحداً، وشعرت أن حسابك لم يكن في مكانه، وهل ندمت على شيء؟

الجعفري: نعم.. ندمت في حياتي أنني لم أحفظ القرآن في وقت مبكر، لكنني لم أدع الخطأ يتكرر مع أولادي، وعندما أخطئ بحق أحد، لا أبيتها، في اليوم نفسه أعتذر منه، وأتصل به، وفي بعض الأحيان عندما أشتبه مع أحد أقول له: إني أخطأت معك، واشتبهت، لكن عندما أرى أن أحدهم يخطئ بحقي، فلست حريصاً على أن يعتذر مني، أو يعترف بخطأه. أعتقد أن الخطأ فيه نقص لكن الاعتراف بالخطأ فيه تكامل، وحسن وجمال.

المقدم: هل أنت راضٍ عن إبراهيم الأشيقر الجعفري عندما كان رئيساً للوزراء؟

الجعفري: من علامات ضعف الشخصية أن يرضى الإنسان عن نفسه؛ لأنه يفقد ديناميته، ويفقد حركيته، أنا كنت أعلم أن سفينة الحكم في مقطع الحكومة الانتقالية ستكون في أعنى أنواع العواطف والريح والبحر الهائج، ولذلك ما كنت رئيساً للوزراء بقرار مني، لكن عندما أصبحت أمام مسؤوليتي، تقبلتها برحابة صبر. أقدر أنني أسهمت بحقن دماء، وأسهمت في تأسيس دولة عراقية تقوم على الدستور، وجرى التصويت على الدستور في عام 2005 ودولة برلمانية تقوم على برلمان، وجرى انتخاب البرلمان في عام 2005، وإضافة إلى اهتمامي بكثير من القطاعات. كانت لدي طموحات لم تتحقق بعد على الرغم من قصر المدة، منها: قطاع التعليم، وقطاع الإعلام، وعوائل الشهداء، والأخيرة كنت همي مذ دخلت العراق، لكن لم يسعفني الوقت في أن أنهي ما بذمتي.. أطمح أن يكون لكل عراقي بيت، وسيارة، وهذا ليس مزايدات إعلامية هذا واقع، الدول التي تجاورنا اقتصادها ليس بقوة اقتصادنا.

المقدم: كنت رئيساً للوزراء، وذهبت لزيارة كربلاء المقدسة، واعترضتك واحدة من النساء، وقالت لك: يريدون أن يأخذوا بيتي، فسألتها: أين بيتك؟ وإذا بك تجد أن البيت يعود إلى أخيك الشهيد، وهي ساكنة فيه، لا أعلم ماذا قلت لها في ذلك الوقت فهل من الممكن أن تطلعنا على الحديث الذي دار بينك وبينها؟

الجعفري: نعم.. كنت في رئاسة الوزراء، وزرت كربلاء، وكنت في محافظة كربلاء ووسط الجمهور كانت هناك امرأة تظهر استغاثة بي، وتقول أريد منك أن تشتري لي بيتاً، وعرفت بنفسها، وقالت إني فلانة، فتأملتُها، وركزت عليها، فتبين أنها امرأة تسكن في بيت زوجة أخي الكبير السيد محمد (رحمه الله)، فقلت لها: أنت زوجة فلان قالت نعم، قلت لها إن البيت لا يعود لك، كيف تسكنين فيه، قالت: أين أذهب، قلت لها لكن هذا البيت يعتبر مغصوباً، قالت اشتر لي بيتاً، قلت لها: لا أستطيع مادياً أن أشتري لك بيتاً، أستطيع أن أستاذرك لك بيتاً، قالت: لا.. أريد منك أن تشتري لي بيتاً، قلت: لها لا أستطيع.

المقدم: هناك قضية لامرأة أخرى.. ما حكايتها؟

الجعفري: كان هناك امرأة في حالة ولادة، وتعرضت إلى عسر في الولادة؛ فاضطرت لأن أساعدها وكان إلى جانبي ممرضة، في مستوصف سيد دخيل، وعلى الطريقة المعروفة علقت لها مغذياً على سكة البردة، ولم يكن هناك حامل، فصباحاً كنت أحضر قبلهم إلى المستوصف، وأفتشه، والمفروض قبل نهاية الدوام أن ينظفوا المستوصف، وأنا آتي في الصباح أفتش الأقسام، ومن جملة الأشياء التي أفتشها هو صندوق الأدوية لأرى إن كان لدينا نقص أو شيء آخر، وبالجملية أحاول أن أطابق بين المكتوب على الصندوق المستورد وبين محتوياته، فانتبهت إلى أن العلبة التي كتبت عليها نثرجين التي أعطيت للمرأة الحامل، كان أمبولات ترفع الضغط ولها تأثير جانبي، وتعطى عادة للتقيؤ، فأعطيتها أمبولتين، ولم يتحسن ضغطها، فاتضح أنه لم يكن نثرجين. الشيء الذي أعجبني أن كل واحد فيهم قال أنا المسؤول عن هذا الخطأ، فاحتراماً لهم، غضضت النظر، وقلت لهم إن المرأة خرجت بالسلامة.

المقدم: هل توليت في مرحلة من مراحل التنظيمات الموصل وبغداد لحزب الدعوة الإسلامية؟

الجعفري: كنت أتصدى في الموصل، وكان اسمه تنظيم الموصل.

المقدم: هل تفاعل الجمهور في ذلك الوقت مع حزب الدعوة الإسلامية؟

الجعفري: طبعاً لم تكن الدعوة مطروحة في الموصل ولا في غيرها باعتبار أن المرحلة سرية، لكن أداءنا كشخصيات وعلاقاتنا التنظيمية مع الدعاة ولدينا علاقات تنسيق مع تنظيمات غير الدعوة وجسور مع الإخوان المسلمين، من دون أن تكون ذات طابع رسمي، في الوقت نفسه نمد جسور العلاقات مع مختلف الشرائح الاجتماعية، فعندما ننظر من الخارج تجد علاقتي واسعة لكن في العمق تختلف من شخص إلى شخص حسب المشترك بيني وبينه، وهناك نشاطات عامة داخل الكلية مثل صلاة الجماعة في كلية الطب كنت أصلي بهم، وكانت لدينا نشاطات في حسينية الفيصلية - للأسف الشديد - فجّرت قبل فترة.

المقدم: ما صحة ما يقال عن كتابة تقارير من جهاز المخابرات للنظام البائد بخصوصك، وهل كنت مطلوباً لهذا الجهاز بذلك الوقت؟

الجعفري: كنت قد وضعت علامة استفهام على خمسة شخصيات كانت ترصدني في لندن، وكنت قاطعاً ببعض الأسماء، وبعضها كانت تحوم حولهم الشبهات، فأحدهم استطاع أن يقترب قليلاً قليلاً، ويحاول أن يقترب من بعض الدعاة مما جعلني أنهر هذا الداعية لأنه سمح له بأن يدخل بناية المكتب السياسي، فقلت له: ليس كل أحد يسلم عليّ في الشارع أو الأماكن العامة يأخذ مني تزكية، فألمني كثيراً هذا التسرع، ونحن نشدد على ذلك، أنا كنت أعلم أنه يستهدفني، وواحد آخر كان لا يفارقني أبداً حتى خارج لندن، وبعد أن رجعت إلى بغداد، وجلبوا لي ملفات متعددة ووثائق من إحدى المحافظات، ومنها تقرير للمخابرات عليّ، فرأيت اسمه، وما كتب عنيّ، ومن ضمن ما كتبه: (المجرم إبراهيم عبد الكريم حمزة الأشيقر المسمى بإبراهيم الجعفري، يتميز بأن لديه ثقافتين الثقافة الإسلامية والثقافة العامة، ويملك تأثير على المعارضة العراقية بالخارج، وهو يقاطع النشاطات والمؤتمرات التي تقام بأميركا، وهو يختلف مع إيران، والناس تثق به، لأنه يساعد الفقراء، ويعيش حياة الفقراء، هذا ما كتبه هو، وبعد ذلك يؤكد، إننا ننتظر أوامرهم)، ويقول: (أكد مصدرنا أنه مستعد لأن ينفذ المهمة بأي ساعة)، يعني مهمة الاغتيال، وهو يلتقي في باريس.

المقدم: عندما كنت رئيس وزراء ألم تفكر في محاسبة هؤلاء؟

الجعفري: منهم لم يدخل العراق قطعاً، ومنهم دخل ولا أعرف عنه شيئاً، لكن زارني وفد من صلاح الدين، ولم يأتوا جميعهم، فسالت عن لم يأت، فقالوا لي إنهم من المخابرات المسؤولين عن ملفك أيام المعارض، فقلت لهم عفا الله عما سلف، علينا العمل بصفحة جديدة، وأتمنى ألا يفكروا في هذه القضية أبداً.

المقدم: أين كنت لحظة سماعك خبر استشهاد السيد محمد باقر الصدر؟

الجعفري: كنتُ في إيران وتحديدًا في مدينة الأهواز... (يقف السيد أمام آية معلّقة على الحائط في منزله)، ويقول: القرآن شرف وكله شرف، لكن هذه الآية بالنسبة إليّ مورد تأمل دائم: ((وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ)).

هذا المكان يشير إلى ماضٍ والآن إلى حاضر، وقد يأتي يوم من الأيام يشار إلي وأكون ماضياً.. نعم كنت في الأهواز، وأتردد بين عبادان الحدودية، لكن أهلي كانوا ساكنين في فندق بالأهواز، وحين تلقيت خبر استشهاد السيد الصدر (رحمه الله)، رأيتُ من تكليفي أن أحول الشهيد من حي عند الله - تبارك وتعالى - كالنزام وأدنى درجات الوفاء إلى حي في حياتنا، ففي كل مكان أتواجد فيه كنت أذكره، وأعرّف بحجم هذا العالم الكبير، ومآثره.

المقدم: هل بكيت؟

الجعفري: لا أتذكر، وإن كان البكاء يُشير إلى الحزن بلاشك، لكنني فُجِعْتُ فجيرة حقيقية، وشعرت أنه قلعة فكر.

المقدم: ألم تياسوا في ذلك الوقت، ألم تنكسروا؟

الجعفري: بالعكس، حالاً زرعت مفهوماً بأنه من الآن فصاعداً يجب أن يُقرأ الصدر مرتين، مرة كشهيد من أجل الكلمة، وأخرى أن يُقرأ من خلال عطائه الفكري، وهذا ركزته في الكثير من اللقاءات، بالمناسبة كلما تأتي مناسبة ذكرى السيد الشهيد، أقوم بإلقاء سلسلة محاضرات في مناطق متعددة عن السيد الصدر، عن خطابه، وفكره، وسيرته الذاتية، وأخلاقه، كل واحدة من هذه لها خصوصية أتحدث عنها. أعتقد أن هذا من باب الوفاء لشخصية معاصرة قدّمت الكثير من الفكر والتضحيات أن يكون لها الذكر الدائم والحضور الفاعل في كل مكان ومناسبة.

المقدم: يقال: إن الأميركان هم من أتى بالدكتور الجعفري لمنصب رئاسة الوزراء، وأن البقية كانوا مجرد صورة أمام العالم، ما صحة هذا الكلام؟

الجعفري: لم يأت بي الأميركان ولا يشرفني ذلك، وأنا أعتقد أن اليد التي تأتي بأي زعيم تستطيع هي ذاتها أن تقطع الطريق عليه، وتسحبه، يشرفني أنني أتيت بإرادة

شعبية جماهيرية وليس من قبل الأميركان، هذا أولاً، وثانياً، أنا أفرّق بين الإدارة الأميركية والأمة الأميركية.

المقدم: لماذا لم يحبوك؟

الجعفري: لأنهم يعلمون سياستي جيداً، وقد جرّبوا تعاملتي في عام 2005، وعندما تم اختياري مرة أخرى، من قبل أكبر كتلة برلمانية وهي الائتلاف المعبرة عن الحالة الشعبية، وقفت بعض العناصر موقفاً معيّناً من داخل الائتلاف وخارجه، وأعطت انعكاسات عليهم، وبالنسبة لي أنا لم آت بإرادتهم، ولم أذعن لضغوطهم، وإنما كنت أسير وفق مؤشرات عراقية وطنية، وأشعر أن الأميركيين أنفسهم كشعب وكسياسيين وطنيين مخلصين كانوا يتفاعلون مع هذه الطريقة، هم أيضاً لديهم أناس وطنيون، وعانوا من احتلال، وحين كنت أتحدث مع (سرجيو دوملو) وهو أول ممثل للأمم العام كنت ألاحظ عينيه تدمعان، قلت له: أنت برازيلي وعندما احتلتكم البرتغال ناضلتكم ضد البرتغال، وحصلتم على استقلال، لماذا الاستقلال عليكم حلال وعلينا حرام؟! وأتكلّم مع الأميركان كذلك، أقول لهم: عندما احتلتكم بريطانيا، وحرركم جورج واشنطن، لماذا عليكم التحرير حلال عليكم وعلينا حرام، ومع الجميع أتكلّم بهذه الصيغة، فكنت من خلال ثقافة المشترك بيني وبين أي بلد أثير فيهم هذه الحالة، ونحن نعاني من عقدة وجود الأجنبي؛ ليبرهنوا على حسن نواياهم، ويتركوا العراق للعراقيين، هذا ما كنت أقوله، نحن لا نملك مليشيا، ولم نكن فاسدين في المعارضة ولا في الحكم لقد كانت لدينا حالة وطنية، نريدها أن تسير بشكل متكامل شعبياً، وتتعكس على البنى الفوقية، تنفيذياً وتشريعياً وهكذا.

المقدم: هل طلب منك الأميركان ملياري دولار أول ما تسلمت الرئاسة؟

الجعفري: نعم.. الذي حصل أن مجموعة من الجنرالات أتوا إلى رئاسة الوزراء، وقدموا تقريرهم وقالوا: إن لدينا قضية تحتاج إلى ملياري دولار، فاستشرت المستشار القانوني في رئاسة الوزراء، وهذا طبعي في العمل؛ لأنني أريد أن يكون العراق دولة قانون وكذا الحكومة، فأشار عليّ بأن هذا الطلب غير قانوني، وليس صحيحاً، فرفضت طلبهم، وانتهى الموضوع.

المقدم: ألم يحاوروك؟

الجعفري: أنا لست في معرض محاورة أحد، يرضى أو لا يرضى، أنا مسؤول سلطة تنفيذية، وأعبّر عن وجدان شعب، فأحدث بحجم شعبي ولغة القانون، والمستشار القانوني قال لي: إن هذا الأمر غير قانوني، وليس له مخرج من الناحية القانونية.